

دبلوماسية الخشونة والنعومة في الوساطة الأميركية



والانكسار، لأن السد ليس مشروعاً فنياً وتنموياً فقط، بل يحظى بأهمية قومية تلفت حولها الشعوب الإثيوبية. بالتالي فالوساطة يمكن أن تواجه بعراقيل كبيرة، ويعد ترامب نفسه في مواجهة حرج بالغ وهو على بعد أشهر من انتخابات الرئاسة. وبدلاً من تحقيق إنجاز يحسب له في عام الانتخابات يدخل نفقاً مظلماً مع اشتداد الحملة التي يشنها الحزب الديمقراطي عليه، وتصويره كقائد فاسد وصاحب أفكار معطوبة.

باتت مسألة الانتقائية في اختيار الوساطات تؤخذ على أنها دليل كاف على التردد في الانسحاب الإرتباك في التعامل مع أزمات المنطقة، لأن هناك صراعات أكثر حيوية لم تتدخل فيها الولايات المتحدة، ما يعني أن دبلوماسية الخشونة والنعومة غير محكمة بضوابط سياسية.

العقبة التي يرجح أن تكون لها تداعيات على كثير من التوازنات المصرية. إذا نجحت الإدارة الأميركية في تسهيل مهمة مصر في التوصل إلى اتفاق مرض، لن تقف الثانية في صف الممانعين لحظة السلام الجديدة. وهو ما جعل التفاهم بينهما سهلاً، نظرياً، في قضايا يمكن أن تتجاوز حدود هذين الملفين، لأن التعقيدات التي تكتنف الأوضاع التي يمر بها الملفان تحتاج إلى فك الكثير من الألاعق أولاً.

ربما يمتلك الرئيس ترامب الفكرة الرئيسية التي دفعته ل طرح صفقة القرن والقبول بالوساطة بين مصر وإثيوبيا، لكنه يفكر حتى الآن للفعل الحقيقي الذي يمكنه من تطبيق المخرجات، في ظل السحب التي تخيم على القضية الفلسطينية، وتصميم قيادتها السياسية على عدم الرضوخ، والاتجاه نحو زيادة وتيرة التصعيد.

كما أن الانقراض البادي على مفاوضات السد الإثيوبي قابل للانتكاسة

موسكو في ملف سد النهضة كانت ستعزز علاقاتها بالدول الثلاث المعنية به، ومن الممكن أن تصبح الأزمة مدخلاً لتوسيع الدور الروسي في أفريقيا، بعد قيامها بتأكيد رغبتها لتطوير روابطها في هذا الفضاء الربح.

حسمت شخصية ترامب الكثير من التصرفات التي اتخذت على صعيد القضية الفلسطينية وسد النهضة. فالرجل يهوى عقد الصفقات وانتهاز الفرص، واطلق على مبادرته للتسوية السياسية في الأولى صفقة أو فرصة القرن، ودرج على وصف دوره في الثانية بالوسيط المحايد.

وتأتي العلاقة بينهما من رحم أن الأخيرة يمكن أن تكون مفيدة للأولى، من زاوية العنصر المشترك بينهما، وهي مصر التي تحولت أزمة سد النهضة إلى مازق كبير لها ولا تستطيع حله سياسياً أو عسكرياً. ويلبي دخول واشنطن في الوقت الراهن حاجة عاجلة لدى القاهرة على أمل مساعدتها في تجاوز هذه

المتحدة على هذا المقعد وهي مشغولة بتطبيق الخواطر السياسية والتوصل إلى حل يرضي جميع الأطراف.

تتعامل إدارة الرئيس ترامب مع صفقة القرن بصلف زائد، حيث أعلنت بنودها دون التعاون والتنسيق مع الطرف الأساسي في القضية، وهو السلطة الفلسطينية، ولم تمهلها أو غيرها فرصة للتفكير والمناقشة والتعديل والضبط كما هو معمول في المبادرات السياسية القابلة للحياة، في حين بذلت جهوداً مضنية في اجتماعات واشنطن وما سبقها من لقاءات في كل من الخرطوم والقاهرة وأديس أبابا، لسد الجوة بين وفود العواصم الثلاث.

هذا النوع من المتلازمات السياسية يبين طبيعة الدور الذي يريد أن يتقمصه ترامب، ويتعلق بإصراره على امتلاك أداتي الأمر والإنصات في آن. فمن يستطيع الفرض والضغط والإجبار في ملف، يمكنه أن يصبح مرناً وطبعاً ومستمعاً جيداً في ملف آخر، ليكون منجزاً ومفيداً في الحاليتين. في إشارة توحى بالخصوصية، وتوحى بان فحوى القضية- الملف يحدد طريقة التعامل الأميركي معها، بدءاً من إهمال العنوانين العريضة والمركزة وحتى الانهماك في التفاصيل الصغيرة، ومروراً بسلسلة حافلة بالحلقات المتشابكة في أحجامها وأوزانها.

المهم أن تصل المعاني الكافية والدالة على القدرة في الحضور والتوجيه والقبض على زمام الأمور. وسواء كانت الوساطة الأميركية خشنة أم ناعمة فهي مستمرة ولن تتوقف في منتصف الطريق، وعازمة على الوصول لمبتغاها في القضية الفلسطينية وسد النهضة.

راعت التحركات على هذين المستويين، الاستفزاز والترصص والترقب الذي تمارسه بعض القوى المتنافسة التي تنتظر الفرصة المواتية للانقضاض والتدخل السياسي في الملفين. وتترك واشنطن أن روسيا لديها الاستعداد للتدخل وطرح مبادرات متوازنة تحظى بجاذبية أطراف عديدة.

وسوف تتحمل واشنطن تكاليف باهظة إذا استسلمت للـ"جنرال وقت" وتركت التطورات المتلاحقة تستقر قسرياً عند موسكو التي تتطلع لتعظيم دورها الإقليمي عقب تفوقها في الأزمة السورية، واقتربها من الأزمة الليبية.

لن تتحمل واشنطن ضربة جديدة في ملف السلام في الشرق الأوسط الذي احتكرته لعقود طويلة وتملك اليد الطولى فيه تاريخياً. كما أن وساطة

نشطت الإدارة الأميركية في بعض الإزمات الإقليمية مؤخراً، واقتربت من مفاصلها الرئيسية على طريقها. ظهر هذا التوجه في نموذجين للوساطة بكل ما تحمله من خشونة ونعومة دبلوماسية، وهما دفع واشنطن عجلة السلام في القضية الفلسطينية من خلال الخطة المعروفة بصفقة القرن، وتسهيل عملية التفاوض في ملف سد النهضة المتنازع بين مصر وإثيوبيا.

تبدو العلاقة بين الصفقة وسد النهضة بعيدة، والربط بينهما قد يعتبره البعض تعسفاً أو غير مقنع، غير أن قدرنا من التمعن والتريث يكشف عن وجه الشبه بين الملفين، وربما يفسر أسباب تزامنها، مع أن القضية الفلسطينية مرت عليها عقود طويلة، وسد النهضة أوشك أن يكمل عقده الأول. وتُقدّم مقاربات على صعيد التسوية السياسية كتب لبعضها النجاح وفشلت غالبيتها. ولم تتقدم في أي لحظة جهة دولية للوساطة بين القاهرة وأديس أبابا، والأزمة بينهما تزداد سخونة.

يمكن القاسم المشترك بين الملفين في عنصر الصدمة، وعدم وجود مقدمات كافية ومقنعة خاصة في سد النهضة. أعلنت واشنطن عزمها طرح صفقة القرن أكثر من مرة خلال العام الماضي، وضربت الإدارة الأميركية توقعات عدة ولم تتمكن من الوفاء بأي منها، وكاد النسيان يطوي الخطة-الصفقة، ثم فوجئ العالم بالرئيس دونالد ترامب وهو يعد العدة ويكشف عن التفاصيل بلا مقدمات محددة، أو حوارات جادة مع السلطة الفلسطينية.

كذلك دخلت واشنطن، ومعها البنك الدولي، على خط الوساطة في ملف سد النهضة، ولكن كان يترقب معرفة الدولة المرشحة لتقوم بدور الطرف الرابع الذي تبحث عنه القاهرة لتسهيل مهمة التفاوض بين الدول الثلاث، مصر وإثيوبيا والسودان. وجلست الولايات

محمد أبو الفضل
كاتب مصري

العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
حذام خريف
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة العيقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 - 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

هل يتخطى المكلف علاوي إملاءات إيران

الولايات الأميركية قدم خلالها مشروعاً للتغيير في العراق، وكان مهتماً بدعم المظاهرات ويبدو أنه كرر هذا الاستعداد لتلبية مطالب المنتفضين خلال مقابلة تلفزيونية قبل عشرة أيام أكدها في كلمة التكليف الأخيرة، ولكن الأمور لا تؤخذ بالتمنيات الشخصية في ظل ضغوط الكتل السياسية، ومن خلفها طهران الراضية بمجيء رئيس وزراء يعرض مصالحها للضياع، ولا تقبل لمن يتولى المنصب أن يفتح أبواب محاسبة كبار الفاسدين والمطالبين باستعادة الأموال العراقية المشهورة، لأن هذا الأمر سيعرضها للمخاطر، والأمر الأكثر حساسية هو دور الميليشيات المسلحة التي توسع نفوذها مقابل ما ادعاه من تنفيذ برنامج لحصر السلاح بيد الدولة، والذي كان شعار سابقه من رؤساء الوزراء ولم تنفذ خطوة واحدة منه. وقد تسربت على مواقع التواصل الاجتماعي ليلة التكليف صورة لوثيقة وقعتها كل من محمد علاوي وهادي العامري وعضوين آخرين، أكد فيها التزامه بتنفيذ قرار البرلمان لإخراج القوات الأجنبية من العراق واستكمال الاتفاقية الصينية العراقية وإشراك القوى السياسية بتشكيل الحكومة، إضافة إلى منح قوى الحراك الشعبي مناصب حكومية في محاولة لإرشائها.

الأيام المقبلة ستكشف إذا ما حوّل شعاراته إلى حقائق تنفيذية عاجلة، وأهمها عدم خضوعه للمحاصصة وتوزيع المناصب بين الأحزاب والتزامه أمام المنتفضين بمحاسبة القتل المجرمين، وقدرة على توفير البيئة الآمنة للانتخابات من هيمنة الميليشيات المسلحة. لا توجد مؤشرات مشجعة على قدرته بتنفيذ ذلك، خصوصاً في تطبيقه للالتزام بعدم الخضوع لإرادة القوى الشعبية، وفيما إذا سيتمكن من تخطي إملاءات طهران التي لم يذكرها في جميع نشاطاته الإعلامية خلال الشهرين الماضيين. قبله ادعى عبدالمهدي كلاماً أكثر مغالاة منه لكنه أصبح مطيعاً لإيران ووكلائها في العراق.

والتي من نتائجها ما ظهر في الساعات الأولى عند تكليف علاوي من وجهات نظر بعضها لا ترضيه بالمطلق.

الالتزامات التي وضعها علاوي على نفسه أمام المنتفضين فيها محاولة للتخفيف من ردة فعلهم القوية ضد، خصوصاً أن الأيام السابقة للتكليف كانت مشحونة برفضه، فقد تعهد في كلمته المصورة بمحاسبة المنسحبين بقتل المظاهرين ومحاربة الفاسدين، وأنه إذا ما فرضت الأحزاب مرشحها للحكومة يتعهد بالانسحاب من هذا التكليف. ولكن يبدو أن الحماسة الجماهيرية والصوت العالي برفضه قد بعراقلاً وصوله إلى البرلمان بكابنته الوزارية، ولا يعرف ما ينتج عن هذه العواطف المتصاعدة في الشارع خصوصاً أن مقتدى الصدر قد نفذ لعبة اكتشفت خلال ساعات بإرساله مجموعة من انصاره إلى ميدان التحرير ببغداد، وهجومهم واحتلالهم لمقر المنتفضين في

محمد كوثراني الممثل لحسن نصرالله والمسؤول عن حزب الله العراقي، وتم التوصل إلى اسم محمد توفيق علاوي إثر فشل كتلة العامري الموالية لطهران في تمرير ثلاثة أسماء من جنودها الفعليين، وكذلك عدم تحقيق أهداف إخماد الانتفاضة المسلحة بواسطة ميليشياتها في القتل والاختطاف، والتي من أحد مطالبها طرد إيران من العراق فسيطرت على العقل السياسي الإيراني مشاعر الإحباط واحتمالات خسارة كل شيء إذا انتصرت إرادة الثوار. وتسربت أنباء من داخل الأوساط السياسية الشيعية مفادها أن طهران وجهت تهديداً للزعامة الشيعية بأنها ستحرق العراق إذا ما جاء رئيس وزراء وفق مواصفات الثوار، ولهذا جاء الحل الوسط في اختيار علاوي تكراراً للخيار السابق في تعيين عادل عبدالمهدي.

رغم اختلاف وجهات النظر السياسية بشأن هذا التكليف من داخل بعض الزعامات الشيعية كحزب نوري المالكي مثلاً، تسرعت بعض الأطراف السنية بتأييد الرئيس الجديد نتيجة قلقها على مصيرها السياسي، إلا أن أصحاب الكلمة الأخيرة هم شباب الانتفاضة الذين لا تلوي عزميتهم حملة التشويبات والانتقاص من مكانة فورتهم ووصف بعض أفرادها بالمندسين، علماً بأن غالبية المندسين هم من أفراد تابعين للميليشيات، كما أن هذا الحجم البشري المليون لا يمكن ضبط جميع تصرفات أفراد بدة متناهية فهم ليسوا ملائكة في ردود أفعال بعضهم على رصاص القتل المجرمين المحميين من قبل الحكومة السابقة رغم التزامهم العالي بالسلمية طوال الأشهر الأربعة الماضية. لا شك أن هناك نواقص فنية في عدم وجود قيادة سياسية وإعلامية موحدة للانتفاضة لكي تتحاور مع خصومها،

هكذا إذن انتجت الخطة المركبة وصانعتها طهران اختيار محمد توفيق علاوي كرئيس جديد للوزراء يتحمل مسؤوليات المرحلة المقبلة الجديدة ومتطلباتها التي قدمت شروطها الواضحة الانتفاضة ودفعت من أجلها أكثر من 25 ألف جريح، بعد تكرار لتوافق فاشل لكتلتتي الفتح وسائرون الشيعيين عام 2018 باختيار رئيس الوزراء السابق عادل عبدالمهدي والاستمرار بالتجاوز الواضح للدستور الذي فصله وفقاً لمصالحهما.

اختار علاوي في لحظات التكليف أسلوباً غير معتاد وغير دبلوماسي في طريقة قبول تكليف الرئيس العراقي له عبر مخاطبة الجمهور المنتفض بكلمة مصورة ذات مفردات عاطفية حاول من خلالها مغالزته واللعب على عواطف العراقية البريئة، وهو السياسي الشيعي المخضرم الحامل في جزء من تاريخه بصمة الكادر المتقدم في حزب الدعوة، والعارف بالثقافة الشيعية، لكنه نسي في هذه اللحظات الحساسة أن الطيبة العراقية قد تقود إلى التعالي عن الصغائر وتقبل الصفح عنها، لكنها لا تتسامح مع القتل ومقتلهم في الأحزاب المسكة بالسلطة، وأن هذه الانتفاضة تمتلك الوعي الذي أنتج هذا التغيير الثوري في الحياة العراقية وعلاقتها بالطبقة الحاكمة الفاسدة والقاتلة.

ويقال بأن هذا الأسلوب الدرامي يقبول التكليف قد جاء بعد حوار بين المكلف والرئيس برهم صالح الذي قال له بالنص "أنا وضعت استقالتي على طاولة البرلمان إن لم اختر رئيس وزراء يرضاه المنتفضون"، وطلب منه توقيع تعهد يؤكد فيه التزامه بتحقيق مطالبهم، فاختار البيان المصون.

جاء هذا التكليف الموصوف وفق الكثير من المراقبين بعد حوارات طويلة بين الزعيمين الشيعيين، مقتدى الصدر وهادي العامري، تم جزء منها في إيران وبرعايتها، وتعرضت أخيراً بصحة

د. ماجد السامرائي
كاتب عراقي

